مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١١)، العدد (١)، ص ص ١١٥-١٥٧ (محرم ١٤٣٩هـ/سبتمبر ٢٠١٧م)

(أل) التعريف الدالة على الكمال وأثرها في تفسير القرآن الكريم
"دراسة تأصيلية نقدية"

د. حاتم جلال التميمي
أستاذ مشارك في التفسير وعلوم القرآن، كلية القرآن والدراسات الإسلامية
جامعة القدس، فلسطين

ملخص البحث. تشتمل هذه الدراسةُ على التَّعْرِيفِ بنوع من أنواع (أل) التعريف؛ وهي (أل) الدالة على الكمال، وإثبات هذا المعنى لها من خلال نصوص علماء اللغة العربية، وعلماء التفسير، وأبرزِ المفسرين الذين وَظَّفُوا هذا المعنى من معاني (أل) التعريف في تَفْسِير الْقُرْآن الْكَرِيم، مع عرض نماذج من أقوال المفسرين، ومناقشة ما قالوه تأييداً أو نقداً، ومدى إيراد المفسرين لهذا المعنى في تفاسيرهم، والمرجحات التي يترجح بها هذا المعنى على غيره، والمرجحات التي يترجح بها غيره عليه.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، ال التعريف، تفسير، الكمال، الاستغراق.

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، وأفضل الصلاة وأتم السلام على من أرسله الله للعالمين هدايةً وفرجاً، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد.... فإن لحروف المعاني دوراً مهماً جداً في تفسير القرآن الكريم، ولها تأثيرٌ بالغٌ في معانيه؛ فكثيراً ما يختلفُ المعنى والتفسيرُ إذا فُسِّرتْ آيةٌ من آيِ الذكرِ الحكيمِ وفقاً لأحدِ معاني حرفٍ من حروفِ المعاني، وإذا فُسِّرتْ وفقَ معنىً آخرَ للحرفِ ذاتِه فإنها تعطي معنىً آخرَ مغايراً للمعنى الأول. ومن هنا كثُر اهتمامُ العلماءِ بحروفِ المعاني وتوظيفِها في تفسيرِ القرآنِ الكريمِ.

ومن حروف المعاني التي لها تأثيرٌ كبيرٌ جداً في التفسير، ووردت في القرآن الكريم مرات كثيرة (أل) التعريف، وهي أنواعٌ عدَّة كما سيأتي بيانُه في البحثِ إن شاء اللهُ تعالى. ومن تلك المعاني معنىً ذَكَرَهُ كثيرٌ من أهلِ التفسيرِ واللغةِ؛ وهو مجيءُ (أل) بمعنى للدلالة على الكمال الكمال. فوقع اختياري على هذا الموضوعِ للكتابةِ فيه، وأسأل اللهَ تعالى العونَ والتوفيقَ والسدادَ.

أسباب اختيار الموضوع

١ - الرغبةُ في ضبط معاني أدوات التفسير عامةً، و(أل) التعريف خاصةً.

٢ - الرغبةُ في عمل دراسةٍ مُحَقَّقَةٍ حول (أل) التعريف الدالة على الكمال في القرآن الكريم.

٣ - عدمُ وجودِ دراسةٍ مستقلةٍ في هذا الموضوع.

أهداف الدراسة:

١ - ضبط معاني (أل) التعريف، والتمييز بينها.

٢ - الوقوف على الأغراض البلاغية لـ(أل) الدَّالَّة على الكمال.

٣ - مناقشة أقوال المفسرين في (أل) الدالة على الكمال.

أهمية الدراسة:

١ - أَنَّهَا الأولى –بحسب علم الباحث - التي تناولت هذا الموضوع.

٢ - أَنَّ القولَ بحمل (أل) على الكمال أو عدم القول به يترتب عليه آثارٌ في تفسير بعض آيِ القرآن الكريم.

٣ - أنها عملت على ضبط ما يتعلق بـ(أل) الدالة على الكمال في القرآن الكريم.

حدود الدراسة:

هذه الدراسةُ محدودةٌ بدراسةِ (أل) الدَّالَّة على الكمال في السياقات القرآنية، وأثرها في تفسير القرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

لم يَقِفِ البَاحِثُ عَلَى دِرَاسَةٍ أَصَّلَتْ مَوْضُوعَ (أل) التعريف الدالة على الكمال بحسبِ المنهجِ العلميِّ.

منهجية البحث:

اتبع الباحثُ المنهجَ الاستقرائيَّ؛ حيث قام باستقراءِ المواضع التي ذكر المفسرون فيها (أل) الدَّالَّة على الكمال في تفاسيرهم للقرآن الكريم، من خلال كتبِ التفسيرِ المتداولةِ المطبوعةِ، واستخراجِ طائفةٍ من أبرز المواضع التي ذكر المفسرون فيها هذا المعنى من معاني (أل). وَاتَّبَعَ الباحثُ أيضاً المنهجَ الوصفيَّ؛ وذلك بِذِكْرِ ما يتعلَّقُ بالمواضع التي تَحَدَّثَ فيها المفسرون عن (أل) الدَّالَّة على الكمال ومناقشتها تأييداً أو مخالفةً.

وقد جاءَ هذا البحثُ في مقدمةٍ وتمهيد وأربعة مباحثَ وخاتمةٍ، وذلك عَلَى النحو الآتي:

المقدمة: وفيها استعراضُ أدبيَّاتِ البحثِ.

تمهيد: معاني (أل) عند علماء اللغة.

المبحث الأول: مجيءُ (أل) دالةً على الكمال عند علماء اللغة، واختلاف عباراتهم فيها.

المبحث الثاني: مجيءُ (أل) دالةً على الكمال عند علماء التفسير، وتعبيراتهم عنها.

المبحث الثالث: نماذج من أقوال المفسرين في تفسير (أل) الدَّالَّة على الكمال مع مناقشتها.

المبحث الرابع: الخلاف في دلالة (أل) بين الموصولية والكمال، ومرجحات كل منهما.

الخاتمة: وفيها أهمُّ النَتَائِجِ.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

تمهيد: معاني (أل) عند علماء اللغة

ذكر أهل اللغة لـ«ال» عدة معانٍ، أشهرها(١):

الأول: أن تكون اسماً موصولاً بمعنى «الذي»، و«التي»، ونحوهما، وهي الداخلة على أسماء الفاعلين والمفعولين؛ نحو: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] الآيةَ، ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ [التوبة: ١١٢] الآيةَ.

(١) ينظر: الجنى الداني ص: ١٩٢. مغني اللبيب ص: ٧٢ – ٧٦. الإتقان ٢/١٨٥– ١٨٦. الكليات ص: ١٦٥.

الثاني: أن تكون حرف تعريف، يفيد العهد.

وهي ثلاثة أقسام:

١ - **العهد الذكري**؛ وذلك بأن يذكر اسمٌ منكراً، ثم يعاد ذكره معرفاً بـ«ال»، نحو: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ﴾ [المزمل: ١٥، ١٦]، ﴿فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ﴾ [النور: ٣٥].

٢ - **العهد الذهني**؛ بأن يكون الاسم المعرف بـ«ال» مركوزاً في الذهن، لا ينصرف الذهن إلى سواه، نحو: ﴿إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠]، ﴿إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

٣ - **العهد الحضوري**؛ بأن يكون الاسم الذي دخلت عليه «ال» حاضراً، نحو: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة: ٣]، كأنه قيل: اليوم الحاضر؛ وهو يوم عرفة.

الثالث: أن تكون حرف تعريف، يفيد الجنسية.

وهي ثلاثة أقسام:

١ - أن تكون **لاستغراق أفراد الجنس**؛ كقوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ [النساء: ٢٨]. وضابطها أن يصح حلول «كلّ» محلها على جهة الحقيقة؛ فإنه لو قيل: وخُلِقَ كُلُّ إنسانٍ ضعيفاً لصح ذلك؛ على جهة الحقيقة.

٢ – أن تكون لاستغراق خصائص الأفراد؛ كقولهم: "أنت الرجل علماً". وَضَابِطها أَن يَصح حُلُول «كلُّ» محلهَا على جِهَة الْمجَاز؛ فَإِنه لَو قيل: "أَنْت كُلُّ رجلٍ علماً" لصَحَّ ذَلِك؛ على جِهَة الْمُبَالغَة. وهذا النوع هو الذي يدور حوله هذا البحث.

٣ – أن تكون لتعريف الماهية والحقيقة والجنس؛ وهي التي لا تخلفها «كل»، لا حقيقةً ولا مجازاً؛ نحو: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، فـ(أل) التعريف هنا توضح ماهية المادة التي خلق منها الإنسان وحقيقتها.

الرابع: أن تكون زائدةً؛ وهي لا تفيد أيَّ معنىً مع المعاني السابقة.

وهي نوعان:

١ – لازمة، لا تنفك عن الكلمة ولا تفارقها؛ مثل «ال» في: «الذي» و«التي» وبقية الموصولات.

٢ – غير لازمة، مثل «ال» في: «الحارث» و«العباس» و«الضحاك»، فـ«ال» هنا لا تفيد التعريف؛ ولكنها دخلت من أجل لَمْحِ الأصل في تلك الأسماء.

المبحث الأول: مجيءُ (أل) دالةً على الكمال عند علماء اللغة، واختلاف عباراتهم فيها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مجيءُ (أل) دالةً على الكمال عند علماء اللغة

يظهر بجلاء لمن يقف على كتب أهل اللغة أن مجيءَ (أل) بمعنى الكمال قد ذَكَرَهُ كثيرٌ من أهل اللغة.

ومن أبرز الذين نَصُّوا على هذا المعنى لـ(أل): إمامُ النحو واللغة سيبويه (ت ١٨٠هـ)، قال في الكتاب: "ومن الصفة: أنت الرجل كلُّ الرجل، ومررت بالرجل كلِّ الرجل. فإن قلت: هذا عبد الله كلُّ الرجل، أو هذا أخوك كلُّ الرجل، فليس في الحُسن كالألف واللام؛ لأنك إنما أردت بهذا الكلام هذا الرجل المبالغ في الكمال"[٢].

(٢) الكتاب لسيبويه ١٢/٢.

وابنُ مالكٍ (ت ٦٧٢ هـ)، قال في (شرح الكافية الشافية): "وقد استعملوا الجنسية مجازًا في الدلالة على الكمال مدحاً وذماً؛ نحو: "نعم الرجلُ زيدٌ، وبئس الرجلُ عمرٌو"[٣]. وقال المراديُّ (ت ٧٤٩ هـ) في الجنى الداني: "وهي التي ترد لشمول خصائص الجنس، على سبيل المبالغة. نحو: أنت الرجل علماً؛ أي: الكامل في هذه الصفة. ويقال لها: التي للكمال"[٤]، قال ابنُ هشامٍ (ت ٧٦١هـ)، في أوضح المسالك: "أو قرن هو بـ(أل) الدالة على الكمال، نحو: "أنت الرجل علماً"[٥]. والأشمونيُّ (ت ٩٠٠ هـ) في شرح الألفية[٦]. والشيخُ خالدٌ الأزهريُّ (ت ٩٠٥ هـ) وقررها تقريراً حسناً، وأوضح أن ضابطها أن يصح وضع (كلّ) مكانها على سبيل المجاز؛ لشمول خصائص الجنس مبالغة، نحو: "أنت الرجل علماً" فإنه لو قيل: "أنتَ كلُّ رَجُلٍ عِلْماً" لَصَحَّ على جهة المجاز؛ على معنى أنَّك اجتمع فيك ما افترق في غيرك من الرجال من جهة كمالك في العلم، ولا اعتداد بعلم غيرك؛ لقصوره عن رتبة الكمال[٧]. والسيوطيُّ (ت ٩١١ هـ) في (همع الهوامع)، وزاد بأنها تفيد المبالغةَ في المدحِ أو الذمِّ[٨]. والبغداديُّ (ت ١٠٩٣هـ) في (خزانة الأدب)[٩]. والصَّبَّانُ (ت ١٢٠٦ هـ) في حاشيته على (شرح الأشموني)، وشَرَحَهَا شَرْحاً مُفَصَّلاً؛ فأوضح أنَّ استغراقها لخصائص أفراد الجنس مجازًا هو على سبيل الاستعارة؛ بأن شُبِّهت جميعُ الخصائص في قولهم:

---

(٣) شرح الكافية الشافية ٣٢٣/١.

(٤) الجنى الداني ص: ١٩٤. وقال نحو ذلك في: توضيح المقاصد والمسالك ٤٦٣/١.

(٥) أوضح المسالك ١٨١/١. وينظر: شرح شذور الذهب ص: ١٩٥. شرح قطر الندى ص: ١١٣. مغني اللبيب ص: ٧٣.

(٦) شرح الأشموني لألفية ابن مالك ١٦٨/١، ٩/٢.

(٧) شرح التصريح على التوضيح ١٨١/١.

(٨) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ٣١٠/١.

(٩) خزانة الأدب ٤٤٨/٤، ٤٨٦/٥، ٤٨٧/٥.

"أنت الرجل علماً" بجميع الرجال، بجامع الشمول في (كل)، واستعمل اللفظ الموضوع لجميع الرجال، وهو الرجل بـ(أل) الاستغراقية في جميع الخصائص. فيحمل إما على المبالغة، أو على تقدير مضاف؛ أي: جامعٌ كلَّ خصيصةٍ[١٠]. وأبو البقاء الكفويُّ (ت ١٠٩٤ هـ)[١١].

المطلب الثاني: عبارات علماء اللغة في التعبير عن هذا المعنى من معاني (أل)، ومناقشتها

وفيه فرعان:

الفرع الأول: عبارات علماء اللغة في التعبير عن هذا المعنى من معاني (أل)

اختلفت عباراتُ أهلِ اللغةِ في التعبيرِ عن هذا النوعِ من (أل)؛ فعبَّروا عنها بتعبيرات عدة، بعضُها يقرُبُ من بعضٍ، فيما يأتي بيانها، ومناقشتها، وصولاً إلى الأرجح منها، وهي:

- أنها التي تدل على (**الكمال**). ذكره ابنُ مالكٍ، والمراديُّ، وابن هشامٍ، وخالدٌ الأزهريُّ، والسيوطيُّ، والصَّبَّانُ[١٢].
- أنها التي تدل على (**شمول خصائص الجنس**)، ذكره المراديُّ، وابنُ هشامٍ[١٣].
- أنها التي تدل على (**استغراق خصائص الجنس**)، ذكره ابنُ هشامٍ، والأشمونيُّ، وخالدٌ الأزهريُّ، والغلاييني[١٤].

---

(١٠) حاشية الصبان على شرح الأشموني ٢٦٢/١.

(١١) الكليات ص: ١٦٦.

(١٢) شرح الكافية الشافية ٣٢٣/١. الجنى الداني ص: ١٩٤. أوضح المسالك ٢٥٩/٢. شرح التصريح على التوضيح ٥٨٣/١. همع الهوامع ٢٩٩/٢. حاشية الصبان ٢٥٨/٢.

(١٣) الجنى الداني ص: ١٩٤. أوضح المسالك ١٨١/١.

(١٤) شرح شذور الذهب ص: ١٩٥. شرح الأشموني ١٦٨/١. شرح التصريح على التوضيح ١٨١/١. جامع الدروس العربية ١٤٨/١.

•أنها التي تدل على (**استغراق خصائص الأفراد**). ذكره ابنُ هشامٍ، والسيوطيُّ، والكَفَوِيُّ، والتَّهَانَوِيُّ[١٥].

•أنها التي تدل على (**استغراق صفات الأفراد**). ذكره ابنُ هشامٍ، والكفويُّ[١٦].

الفرع الثاني : مناقشة أقوال علماء اللغة والراجح منها

وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: مناقشة القول بأنها التي تدل على الكمال:

فسَّر الذين ذهبوا إلى هذا القول الكمالَ بأنه بلوغُ الغايةِ في الشيءِ؛ كقولهم: (أنت الرجل علماً). على معنى: أنت كُلُّ الرجالِ من ناحية العلم، وأنت بمنْزلتهم جميعاً من هذه الناحية؛ فأنت تحيط بهذه الصفة إحاطةً شاملةً لم تتهيأ إلا للرجال كلهم مجتمعين[١٧].

وقد ذكر ابنُ مالكٍ أن ذلك يكون إما على سبيل المدح، وإما على سبيل الذمِّ[١٨]. ومجيءُ (أل) بمعنى الكمال في معرِض المدحِ واضحٌ، ولا إشكالَ فيه. ولكن قد يُشْكِلُ مجيئُها كذلك في معرِض الذمِّ؛ إذ كيف يوصف الأمر المذموم؛ كالكفر[١٩]، والظلم[٢٠]، بالكمال؟

---

(١٥) مغني اللبيب ص: ٧٣. همع الهوامع ١/٣١٠. الكليات ص: ١٦٦. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ٢/١٥٨٨.

(١٦) شرح قطر الندى ص: ١١٢. الكليات ص: ١٦٦.

(١٧) النحو الوافي ١/٤٢٦- ٤٢٧.

(١٨) شرح الكافية الشافية ١/٣٢٣. وينظر: همع الهوامع ١/٣١٠.

(١٩) كقول الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥١]: "أي: هم الكاملون في الكفر"(١٩). [الكشاف ١/٥٨٣].

(٢٠) كقول الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]: "أي: هم الكاملون في الظلم، البالغون المبلغ العظيم فيه" [مفاتيح الغيب ٦/٥٣٢].

والجوابُ عن هذا الإشكال: أن الكمال هنا مستعملٌ بمعناه اللغويِّ؛ وهو بلوغُ الغايةِ في الشيءِ كما تقدم، وليس مستعملاً بمعناه الاصطلاحيِّ؛ وهو: الانتهاءُ فِي الْفضل إلى نِهَايَة التَّمامِ[٢١].

وعليه فهذا التعبيرُ لا إشكالَ فيه، بل هو من أكثر التعبيرات شُيوعاً، كما سيأتي عند علماء التفسير.

المسألة الثانية: مناقشة القول بأنها التي تفيد (شمولَ خصائصِ الْجِنْسِ).

الشمولُ في اللغة معناه: العُموم؛ يقال شملهم أمر، أي: عمَّهم[٢٢]. وفي الاصطلاح: تناول الْكُلِّي لجزئياته[٢٣].

وبناءً على هذا فالتعبيرُ بالشمول هنا غير دقيقٍ؛ لأن المفهوم المعبر عنه لـ(أل) في هذا المقام لا ينطبق عليه مفهوم الشمول؛ إذ الظاهر من الأمثلة التي مثَّلوا بها أن الفرد المذكور قد استغرق خصائص أفراد الجنس المذكور كله، وليس المراد تناول الجنس لكلِّ خصائص الأفراد المندرجة تحته. على سبيل المثال: قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥]، المراد بالمفلحين هنا: الكاملون في الفلاح، الذين اسْتَوْفَوْا خصائص أفراد الفلاح. وليس المراد تناول الفلاح لكل خصائص الأفراد المفلحين. ودليلُ صحَّةِ هذا القولِ أنه يصحُّ أن يقال: استوفى فلانٌ صفات المفلحين، ولا يصح أن يقال: شَمَلَ فلانٌ صفات المفلحين.

---

(٢١) مشارق الأنوار على صحاح الآثار ٣٤٢/١.

(٢٢) مقاييس اللغة ٢١٥/٣. تهذيب اللغة ٢٥٤/١١. المفردات في غريب القرآن ص: ٤٦٤.

(٢٣) الكليات ص: ٥٤٠.

المسألة الثالثة: مناقشة القول بأنها التي تدل على (استغراق خصائص الجنس)

التعبيرُ بالاستغراقِ هنا أدقُّ وأصوَبُ من التَّعْبِيرِ بالشُّمُولِ المذكور في النقطة التي قبلها ؛ لأن الاستغراقَ هو: استيفاءُ شيءٍ بتمامِ أجزائِهِ أو أفرادِهِ، بحيث لا يخرج عنه شيءٌ. واستغراق اللفظ: أن يُرادَ به كلُّ فردٍ مما يتناوله، بحسب اللغة، أو الشرع، أو العرف[٢٤].

ومن هنا يترجح التعبير بالاستغراق على التعبير بالشمول ؛ لما ذُكِر.

هذا، والتعبيراتُ الثلاثةُ الأخيرةُ مشتركةٌ في التعبير بـ(الاستغراق)، ولكنَّ الفروق بينها فيما بعد ذلك ؛ فالتعبيرُ الثالثُ (استغراق خصائص الجنس)، والتعبيرُ الرابعُ (استغراق خصائص الأفراد)، أضافا الاستغراقَ إلى الخصائص ؛ وهي: الصفات التي تُمَيِّزُ الشَّيءَ عن غيره وتحدِّده[٢٥]. وبناءً على هذا التعبير لا يكون الاستغراق لجميع صفات الأفراد ؛ وإنما للصفات التي يختص بها. ولعل هذه التفرقةَ غيرُ دقيقةٍ ؛ فقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة: ٢] ناطق بأن القرآن الكريم جامعٌ لصفاتِ جَمِيع الْكتب الْمنَزَّلَة. ولو قيل إنه جامعٌ لخصائصها لكان المعنى أنه جامعٌ لما اختص به كل كتابٍ، فيخرجُ من ذلك ما كان مشتركاً بين تلك الكتب ؛ لأنه ليس من خصائصها.

وبهذا يكونُ التعبير الخامس ؛ وهو أنها التي تدل على (**استغراق صفات الأفراد**)، أسلمَ من التعبير الثاني والثالث والرابع.

بقي أمرٌ ؛ وهو التعبير بـ(الجنس) أو (الأفراد). والخطبُ في هذا يسيرٌ ؛ فالأصلُ أن يكون التعبيرُ (أفراد الجنس)، فمن عبَّر بـ(الجنس) فعلى حذفِ المضافِ وإقامةِ

(٢٤) التعريفات ص: ٢٤. دستور العلماء ١/٧٦.

(٢٥) معجم اللغة العربية المعاصرة ١/٦٥٢.

المضافِ إليه مقامَه. ومن عبَّر بـ(الأفراد) فعلى أن (أل) عهديةٌ ؛ كأنه قيل: الأفراد المعهودين من ذلك الجنس.

المسألة الرابعة: الراجح من تلك التعبيرات

والمحصلة من كل هذا أن التعبير الأول ؛ وهو أنها الدَّالَّة على الكمال، والتعبير الخامس ؛ وهو أنها التي تدل على (**استغراق صفات الأفراد**)، هما أسلم تلك التعبيرات، وأبعدها عن النقد. والله تعالى أعلم.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هؤلاء العلماء وإن عبروا عنها بتعبيرات متغايرة إلا أن عباراتهم جميعاً تهدف إلى غاية واحدة ؛ وهي إفادتها لمعنى الكمال.

المبحث الثاني: مجيء (أل) للدلالة على الكمال عند علماء التفسير، وتعبيراتهم عنها

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مجيءُ (أل) للدلالة على الكمال عند علماء التفسير

بعد إثبات مجيء (أل) بمعنى الكمال عند علماء اللغة لا بُدَّ من إثبات مجيئها كذلك عند علماء التفسير. وبعد البحث والتنقيب في مصنفات التفسير وجدت أن فإن أكثر المفسرين، المتقدمين منهم والمتأخرين، قد أثبتوا لها هذا المعنى. والمفسرون في ذلك بين مصرِّحٍ وملمحٍ.

فمن الذي صرحوا به: الزمخشريُّ (ت ٥٣٨ هـ)[٢٦]. والفخرُ الرازيُّ (ت ٦٠٦ هـ)[٢٧]. والبيضاويُّ (ت ٦٨٥ هـ)[٢٨]. والنسفيُّ (ت ٧١٠ هـ)[٢٩]. وأبو حيانَ

(٢٦) ينظر على سبيل المثال: الكشاف ٦٤/١، ٥٨٣/١، ١٨٠/٢، ٢٨٧/٢، ٥١٣/٢، ٢٥٢/٣، ٥٤١/٤.

(٢٧) ينظر على سبيل المثال: مفاتيح الغيب ٢٨٠/٢، ٩٧/١٦، ٢٦٢/٢٣، ٥٤٧/٣٠.

(٢٨) ينظر على سبيل المثال: أنوار التنْزيل ٤٠/١ ، ١٠٦/٢، ٤٣/٣، ٥٩/٣، ٢٤١/٣، ٨٣/٤، ٢٠٢/٥.

(ت ٧٤٥ هـ)[٣٠]. وابنُ عادل الدمشقيُّ (ت ٧٧٥ هـ)[٣١]. والنظامُ النيسابوريُّ (ت ٨٥٠ هـ)[٣٢]. والبقاعيُّ (ت ٨٨٥ هـ)[٣٣]. والشربينيُّ [٣٤]. وأبو السعود العماديُّ (ت ٩٨٣ هـ)[٣٥]. والبروسويُّ (ت ١١٢٧ هـ)[٣٦]. وابنُ عجيبةَ (ت ١٢٢٤ هـ)[٣٧]. والشوكانيُّ (ت ١٢٥٠ هـ)[٣٨]. والآلوسيُّ (ت ١٢٧٠ هـ)[٣٩]. وسيأتي بيان أقوالهم مستوفاةً في المبحث الثالث إن شاء الله تعالى.

ومن المفسرين الذين ألمحوا إلى هذا المعنى: شيخ المفسرين ابن جرير الطبريُّ (ت ٣١٠ هـ)؛ قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ [النور: ٦٢]: "ما المؤمنون حقّ الإيمان إلا الذين صَدَّقُوا اللهَ ورسولَه"[٤٠]. وبنحو هذا قال مكيُّ بنُ أبي طالبٍ (ت ٤٣٧هـ)[٤١].

---

(٢٩) ينظر على سبيل المثال: مدارك التنْزيل ٥١/١، ٤١٠/١، ٦٢٠/١، ٦٩٢/١، ٢٣٦/٢، ٥١٦/٢.

(٣٠) ينظر على سبيل المثال: البحر المحيط ١١١/١، ٤٥٥/٥، ٦٠٠/٦، ٦٦/٨.

(٣١) ينظر على سبيل المثال: اللباب في علوم الكتاب ٣٠٦/١، ٣١٣/٤، ١٤١/١٠، ٧٣/١٨.

(٣٢) ينظر على سبيل المثال: غرائب القرآن ٩/٢، ٢٠٥/٢، ٣٥١/٣، ١٣٩/٤، ٣٠٨/٤، ٣١٠/٤، ٢٥٧/٦.

(٣٣) ينظر على سبيل المثال: نظم الدرر ٩٠/١، ٢٩٧/١٣، ٣٢٤/١٥، ٣٦٨/١٨.

(٣٤) ينظر على سبيل المثال: السراج المنير ١٦٨/١، ٣٤١/١، ٥٧٠/١، ٢٦٣/٢، ٦٣٣/٢، ٢٤٩/٤.

(٣٥) ينظر على سبيل المثال: إرشاد العقل السليم ٢٤٨/٢، ٢٩٦/٣، ٨٠/٤، ١٥٨/٦، ١٩٧/٦.

(٣٦) ينظر على سبيل المثال: روح البيان ٣١٤/٢، ٣١٢/٣، ٤٦١/٣، ٨٥/٥، ٦٨/٦، ٤٥٠/٩.

(٣٧) ينظر على سبيل المثال: البحر المديد ٢٨٤/٢، ٣٢٩/٢، ١٦٥/٣، ٥٦٣/٣، ٤٩/٧.

(٣٨) ينظر على سبيل المثال: فتح القدير ٦١٣/١، ٣٢٦/٢، ٨١/٣، ٥٦/٤، ٢٣٠/٥، ٢٥٤/٥.

(٣٩) ينظر على سبيل المثال: روح المعاني ١١٥/٢، ٣٥/٣، ١٠٢/٥، ٢١٠/٩، ٣٩٤/٩، ٢٣٦/١٣.

(٤٠) جامع البيان ٢٢٨/١٩.

(٤١) الهداية إلى بلوغ النهاية ٥١٦٣/٨.

وألمح إليه أيضاً الراغبُ الأصفهانيُّ (ت ٥٠٢ هـ)؛ إذ قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ١٣]: "معناه كما يفعل من وجد فيه تمام فعل الإنسانية الذي يقتضيه العقل والتمييز"(٤٢).

والمحصلة بعد استعراض جميع ما تقدم من أقوال علماء اللغة وعلماء التفسير أن مجيء (أل) بمعنى الكمال ثابتٌ صحيحٌ، ذائعٌ شائعٌ، وهو حقيقٌ بأن يُولى العنايةَ والاهتمامَ، وأن يُتَعَمَّقَ في بحثه وتقريره، وهو ما يهدف إليه هذا البحث.

المطلب الثاني: عبارات علماء التفسير في التعبير عن هذا المعنى من معاني (أل)

لم يُعَبِّر أهل التفسير عن هذا النوع من (أل) إلا بـ(الكمال)، ونصوصهم في ذلك كثيرةٌ وفيرةٌ، كما سيأتي بيانُها في المبحث الثالث من هذا البحث. ومنهم من أطلق عليها اسم (لام الكمال) تصريحاً؛ كالبقاعيِّ (ت ٨٨٥ هـ) (٤٣)، والشربينيِّ (ت ٩٧٧ هـ)(٤٤)، وابنِ عاشور (ت ١٣٩٣هـ)(٤٥). وأما التعبيرات الأربعة الأخرى التي استعملها علماء اللغة فلم ترد عند المفسرين، حسبما تبيَّن للباحث من خلال هذا البحث.

المطلب الثالث: مدى توظيف المفسرين (أل) الدَّالَّة على الكمال في التفسير

اختلف المفسرون في مدى توظيفهم (أل) الدَّالَّة على الكمال في تفاسيرهم، وهم في ذلك على ثلاثة أقسام:

---

(٤٢) تفسير الراغب الأصفهاني ١٠٢/١.

(٤٣) نظم الدرر ٧٩/١.

(٤٤) السراج المنير ١٧٨/٤.

(٤٥) التحرير والتنوير ٢٥٥/٩.

١ – مُقِلُّونَ ؛ وهم الذين وظفوا هذا المعنى في التفسير مراتٍ قليلةً ؛ كابنِ عطيةَ (ت ٥٤٢ هـ)، وابنِ جزيٍّ (ت ٧٤١هـ)، والثعالبيِّ (ت ٨٧٥هـ) [٤٦] ؛ أورده كلٌّ منهم مرةً واحدةً فقط، وكالكورانيِّ (ت ٨٩٣هـ) ؛ أورده خمس مراتٍ، وكابنِ عاشور (ت ١٣٩٣هـ) ؛ أورده ستَّ مراتٍ. وكالرازيِّ (ت ٦٠٦ هـ) أورده سبع مرات.

٢ – مُتَوَسِّطُونَ ؛ وهم الذين وظفوا هذا المعنى في التفسير باعتدال بين القلَّة والكثرة ؛ كالزمخشريِّ (ت ٥٣٨ هـ)، والبيضاويِّ (ت ٦٨٥هـ)، والنسفيِّ (ت ٧١٠هـ)، وأبي حيانَ (ت ٧٤٥ هـ)، والقميِّ النيسابوريِّ (ت ٨٥٠هـ).

٣ – مُكْثِرُونَ ؛ وهم الذين بالغوا في توظيف هذا المعنى في التفسير؛ وأبرز هؤلاء البقاعيُّ (ت ٨٨٥ هـ) ؛ فقد ذكره ما يربو على سبعين مرَّةً. والشربينيُّ (ت ٩٧٧هـ) ؛ أورده نحواً من أربعين مرَّةً. وبالتأمل فيما ذكره الشربينيُّ فإنه يظهر بجلاء أنه تَابَعَ البقاعيَّ في كثير من المواضع، ونقل عبارته بحروفها، فهو متأثر به تأثراً واضحاً. ومن الجدير بالذكر ها هنا أن البقاعيَّ قد تميز عن بقية المفسرين فيما يتعلق بـ(أل) الدَّالَّة على الكمال في أكثر من جانبٍ ؛ فهو أكثرهم إيراداً وتوظيفاً للموضوع، ويمكن القول أيضاً بأن البقاعيَّ كان يسير وفق منهج مطرد في حمل (أل) على معنى الكمال بالنسبة لبعض الكلمات ؛ ككلمة (الحقّ) ؛ فسرها في نحو خمسة وثلاثين موضعاً بالأمر الثابت الكامل في الثبات[٤٧]، أو بالأمر الثابت الكامل في الحقية[٤٨]. ونحو ذلك من العبارات. وكذا فسَّر كلمة (الكتاب) حيث أريد به القرآن الكريم بالكتاب الكامل في نحو سبعة مواضع[٤٩]. وكذلك فسَّر كلمة (الرسول) حيث أريد به النبي محمد صلى الله عليه

(٤٦) الجواهر الحسان في تفسير القرآن ١١٣/٣.

(٤٧) ينظر على سبيل المثال: نظم الدرر ٢١/٧.

(٤٨) ينظر على سبيل المثال: نظم الدرر ٨٩/٧.

(٤٩) ينظر على سبيل المثال: نظم الدرر ٣٦٩/١، ١٦١/٢، ١٨٠/٦.

وسلم بالرسول الكاملِ الرِّسَالَةِ، ونحو ذلك من العبارات، فيما يزيد على عشرة مواضع[٥٠]. على أن كثرة إيراد البقاعيِّ لمواضع من (أل) الدَّالَّة على الكمال متفرداً بها عن سائر المفسرين ربما جعله يجانب الصواب أحياناً، ويكون ما ذكره محل انتقاد، كما سيظهر جلياً في المبحث الثالث، إن شاء الله تعالى.

ويمكن أن يضاف إلى هذه الأقسام الثلاثة قسمٌ رابعٌ، وهو: من لم يذكروا في تفاسيرهم (أل) الدَّالَّة على الكمال تصريحاً؛ كالطبريِّ (ت ٣١٠ هـ)، وابنِ أبي حاتمٍ (ت ٣٢٧هـ)، والواحديِّ (ت ٤٦٨هـ)، والبغويِّ (ت ٥١٠هـ)، وابن كثيرٍ (ت ٧٧٤هـ)، وغيرهم.

المبحث الثالث: نماذج من أقوال المفسرين في تفسير (أل) الدَّالَّة على الكمال مع مناقشتها

الأمثلة التي وظَّف المفسرون فيها (أل) الدَّالَّة على الكمال في تفسير القرآن الكريم كثيرةٌ، لا يمكن استعراضها جميعاً في هذا البحث، ولذا فسأقتصر على بعض الأمثلة، مع مناقشتها، وبيان ما لها وما عليها.

١ -قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

قال الزمخشريُّ (ت ٥٣٨ هـ): معناه: أنّ ذلك الكتاب هو الكتاب الكامل، كأن ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص، وأنه الذي يستأهلُ أن يُسَمَّى كتاباً، كما تقول: "هو الرَّجَلُ"، أي: الكامل في الرجولية، الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات

(٥٠) ينظر على سبيل المثال: نظم الدرر ٣١١/٥، ٥١٧/٥، ٣٧١/١٩، ٤٨٦/١٩.

الخصال[٥١]. وقال أبو السعود (ت ٩٨٣ هـ): "والمعنى: ذلك هو الكتابُ الكاملُ، الحقيقُ بأن يُخَصَّ به اسم (الكتاب)؛ لغاية تفوقه على بقية الأفراد في حيازة كمالات الجنس، حتى كأنَّ ما عداه من الكتب السماوية خارج منه بالنسبة إليه"[٥٢].

ومن المناقشاتِ الواردةِ على هذا التفسيرِ للآية الكريمة أنَّ المعنى الذي ذكروه لم تُفده (أل) وحدها؛ بل انضم إليها في إفادة هذا المعنى التعبير باسم الإشارة (ذلك)؛ الذي يفيد علوَّ منْزلة ذلك الكتاب[٥٣].

هذا ولم يذكر جلُّ المفسرين مثل هذا التفسير في مواضع أخرى جاء التعبير فيها عن القرآن الكريم بلفظ (الكتاب)، غير أن البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) قد أورد مثل ذلك المعنى في عدة مواضع؛ منها: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [البقرة: ١٧٦][٥٤]، وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣١][٥٥]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨][٥٦].

ومن المشكل أن البقاعيَّ نفسه قد فسَّر (الكتاب) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البقرة: ٥٣] بقوله: "أي: الكامل في نفسه، الجامع لكم على طريق

---

(٥١) الكشاف ١/٣٣. وينظر: تفسير الراغب الأصفهاني ١/٧٦. مفاتيح الغيب ٢/٢٦٥. أنوار التنْزيل ١/٣٧. روح المعاني ١/١١٣. التحرير والتنوير ١/٢٢١. مدارك التنْزيل ١/٣٨. اللباب في علوم الكتاب ١/٢٧٢. غرائب القرآن ١/١٣٦.

(٥٢) إرشاد العقل السليم ١/٢٣- ٢٤. وينظر: روح المعاني ١/١٠٩. التحرير والتنوير ١/٢٢١.

(٥٣) ينظر: الكشاف ١/٣٢. نظم الدرر ١/٧٩.

(٥٤) نظم الدرر ٢/٣٥٤.

(٥٥) نظم الدرر ٣/٣٢١.

(٥٦) نظم الدرر ٦/١٨٠.

الحق"[٥٧]. وهذا التفسير مشكلٌ؛ إذ تكون التوراة قد شاركت القرآن الكريم في الحيثية المذكورة، مع أنه لا نقاش في أنَّ القرآن الكريم لا يشاركه كتاب آخر في كمالِهِ وعُلُوِّ منْزلته!!

٢ -قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٥١].

قال الزمخشريُّ: "أي: هم الكاملون في الكفر"[٥٨].

ومما يناقش فيه هذا القول أن كلمة (للكافرين) في الآية ذاتها تعود على الكافرين المذكورين أَوَّلاً؛ لأنَّ اللام فيها للعهد الذكريِّ كما هو المتبادر. وعليه فيكون حمل (أل) في (الكافرون) على الكمال مشكلاً؛ لأنها ستحمل حتماً في الموضع الثاني على الكمال، فيكون المعنى: وأعتدنا للكافرين الكاملين في الكفر عذاباً مهيناً، فيكون العذاب المهين للكافرين الكاملين في الكفر فقط، وأما غيرهم من الكافرين فليس لهم مثل هذا العذاب المهين!!

والذي يترجح في هذا المقام أن معنى الكمال في الآية الكريمة غير مستفاد من (أل) كما ذكروه؛ وإنما الذي أفاد بلوغهم الغاية والمنتهى في الكفر هو كلمة (حقاً)، قال الرازيُّ: "المرادُ بهذا الحقِّ الكاملُ، والمعنى: أولئك هم الكافرون كفراً كاملاً ثابتاً حقّاً يقيناً"[٥٩]. وقال الطِّيبيُّ: يدل على الكمال توسيط ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر

(٥٧) نظم الدرر ٣٦٩/١.

(٥٨) الكشاف ٥٨٣/١. وينظر: أنوار التنْزيل ١٠٦/٢. مدارك التنْزيل ٤١٠/١. السراج المنير ٣٤١/١. البحر المديد ٥٨٤/١. فتح القدير ٦١٣/١. فتح البيان ٢٨٤/٣. تفسير المنار ٨/٦.

(٥٩) مفاتيح الغيب ٢٥٥/١١.

المعرف بلام الجنس[٦٠]. وكذا فإن التعبير باسم الإشارة (أولئك) الذي هو للبعيد هو لإفادة بُعْدِ منْزلتهم في الكفر؛ فهو من دلالات بلوغهم الغاية فيه.

ومما يدلل على هذا أن كلمة (الكافرون) و(الكافرين) قد وردتا كثيراً في القرآن الكريم، وأنه لم يسغ حملها على معنى الكمال في جميع مواضعها إلا إذا كان السياق يعين على ذلك. بل إنّ بعض مواضعها يمتنع حمله على معنى الكمال؛ للعلة آنفة الذكر؛ وذلك كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧] فيكون المعنى إذا حملت (أل) على الكمال: إن الكفار غير الكاملين في الكفر لا ييأسون من روح الله!! وكقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠] فيكون الدعاء بالنصر هو فقط على الكفار الكاملين في الكفر!! وكلا المعنيين فاسدٌ بلا شكٍّ.

٣ -قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥].

ذكر كثيرٌ من أهل التفسير في وجه من أوجه تفسير هذه الآية أن (أل) في (الكاذبون) هي للكمال، فيكون المعنى: وأولئك هم الكاذبون الكاملون في الكذب، المستحقون لإطلاق هذا الاسم عليهم دون غيرهم؛ لأنَّ ما عداه كأنه ليس بكذب بالنسبة إليه[٦١].

---

(٦٠) فتوح الغيب ٢٥٤/٤.

(٦١) الكشاف ٦٣٦/٢. أنوار التنْزيل ٢٤١/٣. مدارك التنْزيل ٢٣٥/٢. البحر المحيط ٥٩٨/٦. السراج المنير ٢٦٣/٢. إرشاد العقل ١٤٢/٥. حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٣٧٠/٥. البحر المديد ١٩/٤. فتح القدير ٢٣٣/٣.

ويقال هنا ما قيل في الأمثلة السابقة ؛ من أن إفادة معنى الكمال والبعد والتناهي لم يأت من (أل) وحدها ؛ بل يساندها في ذلك اقترانها باسم الإشارة (أولئك)، وضمير الفصل.

وعلى هذا النسق يقال في كثير من الآيات الكريمة التي قال المفسرون إن (أل) فيها تفيد الكمال ؛ كقوله تعالى : ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ [المؤمنون : ٧][٦٢]. وقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [التوبة : ٦٧][٦٣]. وقوله تعالى : ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [النحل : ١٠٨][٦٤].

٤ -ذكر البِقَاعِيُّ وجهاً أن اللام في (الصابرون) من قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر : ١٠] يمكن أن تكون لام الكمال ؛ على معنى : أن من كمل صبره لم يكن عليه حساب. وهو قولٌ انفرد به البقاعيُّ، واستدل لقوله هذا بحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا لَمَمٌ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ أَنْ يَشْفِيَنِي، قَالَ: «إِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يَشْفِيَكِ، وَإِنْ شِئْتِ فَاصْبِرِي، وَلَا حِسَابَ عَلَيْكِ»، قَالَتْ: بَلْ أَصْبِرُ، وَلَا حِسَابَ عَلَيَّ[٦٥][٦٦].

---

(٦٢) ينظر: مفاتيح الغيب ٢٦٢/٢٣. أنوار التنْزيل ٨٣/٤. مدارك التنْزيل ٤٦٠/٢. فتوح الغيب ٢٢٧/٧. إرشاد العقل السليم ١٢٤/٦. روح البيان ٦٨/٦. روح المعاني ٢١٠/٩.

(٦٣) ينظر: الكشاف ٢٨٧/٢. مفاتيح الغيب ٩٧/١٦. أنوار التنْزيل ٨٨/٣. السراج المنير ٦٢٩/١. إرشاد العقل السليم ٨٠/٤. فتح القدير ٤٣٢/٢.

(٦٤) ينظر: الكشاف ٦٣٧/٢. أنوار التنْزيل ٢٤٢/٣. مدارك التنْزيل ٢٣٦/٢. البحر المديد ١٦٧/٣.. روح المعاني ٤٧٤/٧.

(٦٥) نظم الدرر ٤٧٢/١٦.

وما ذكره البِقَاعِيُّ رحمه الله غير مُتَّجِهٍ ؛ لأن لهذه الآية نظائر في سياقها ولفظها ومعناها ، ولم يذكر هو ولا غيره أن اللام فيها يجوز أن تكون للكمال ؛ كقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٥٣]. وكقوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٢]. وكقوله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٤٦]. وحمل اللام على الكمال في ذلك كله لا يليق بجزالة نظم القرآن الكريم.

٥ -ذكر البقاعيُّ، وتبعه الشربينيُّ، أن اللام في كلمة (الواقعة) من قوله تعالى : ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة : ١] هي لام الكمال ؛ على معنى أنه لا واقعَ يستحقُّ أن يُسَمَّى (الواقعةَ) غيرها(٦٧).

وهو قولٌ غير مُسَلَّمٍ به ؛ فإن المعنى الذي ذكره لم تستقل اللام به ؛ وإنما هو مستفادٌ من خلال أنه اسمٌ للآخرة، وجميع أسماء الآخرة سواءٌ عرفت باللام أو لم تعرف فإنها تفيد أن جميع ما سواها مما يشترك معها في الاسم لا يشبهها ولا يقاربها ؛ مثل ﴿الْحَاقَّةُ﴾، و﴿الْقَارِعَةُ﴾، و﴿الصَّاخَّةُ﴾ و﴿الطَّامَّةُ﴾.

وكذا فإن تاء المبالغة ساندتها أيضاً في إفادة ذلك المعنى، كما ذكره البقاعيُّ والشربينيُّ(٦٨).

---

(٦٦) أخرجه أحمد في المسند أحمد ٤٣١/١٥، برقم (٩٦٨٩). وأخرجه ابن حبان في صحيحه ١٦٩/٧، برقم (٢٩٠٩).

(٦٧) نظم الدرر ١٩٦/١٩. السراج المنير ١٧٨/٤.

(٦٨) نظم الدرر ١٩٦/١٩. السراج المنير ١٧٨/٤.

ومما يمكن أن يكون على نحو ما ذكره البقاعي والشربيني وليس من أسماء الآخرة كلمة (الفاحشة)؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡ﴾ [النساء: ١٥]، فلو قيل هنا: إن المقصود أنها الفعلة المتناهية في الفحش، التي لا يستحق أن يسمى غيرها فاحشةً، لكان ذلك صحيحاً، غير أن اللام لم تفد هذا المعنى وحدها؛ وإنما ساندها في ذلك أصلُ معنى الفحش؛ وهو الزيادة، وساندها في ذلك أيضاً تاء المبالغة.

ولو كانت اللام في جميع ما شابه ذلك تفيد الكمال لأفادته في كل ما ماثلها؛ فقوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥] لا يستقيم حمل اللام فيه على الكمال؛ إذ إن نفخة الصعق هي الحَرِيَّةُ بأن توصف بالكمال، وأن لا صاعقة غيرها تستحقُّ أن تسمى صاعقة.

٦ -ذكر الإيجيُّ في تفسيره (جامع البيان) من أن (أل) في كلمة (المجرمون) من قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [الروم: ١٢] هي للكمال، ويكون المعنى: الكاملون في الجُرْم[٦٩].

والخلل في حمل (أل) على هذا المعنى ها هنا واضحٌ جليٌّ؛ إذ يكون الإبلاس فقط للمجرمين الكاملين في الجرم، وأما غيرهم من المجرمين فلا يبلسون!!

ولو أن الإيجيَّ حَمَلَ الكمال في الإجرام على معنى الكفر لكان الكلامُ صحيحاً، وذلك كما فسر به الآلوسيُّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧٤] أي: إن الراسخين في الإجرام، الكاملين فيه؛ وهم الكفارُ، فكأنه قيل: إن الكفار في عذاب جهنم خالدون[٧٠].

---

(٦٩) جامع البيان للإيجي ٢٩٣/٣.

(٧٠) روح المعاني ١٠١/١٣.

٧ - ذكر البقاعيُّ، وتبعه الشربينيُّ، أن (أل) في كلمتي (السميع والبصير) من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] للكمال؛ أي: الكامل في السمع والبصر(٧١).

والحق أن الكمال هنا عُلِم من صدر الآية الكريمة من تنْزيه الله تبارك وتعالى؛ وعُلِم أيضاً من دليلٍ خارجيٍّ؛ وهو أنَّ للهِ صفاتِ الجلالِ والكمالِ، وأنه تَنَزَّهَ عن النقصان. فيكون سمْعُه وبصرُه -وكذا جميعُ صِفَاتِهِ جَلَّ جلالُه - كاملةً، سواءٌ عرفت بـ(أل) أو لم تعرَّف، كما في قوله تعالى: ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٨١]، ونحوها من الآيات.

ونحوُ هذا ما ذكره ابن عاشور من أن (أل) في كلمة (الحيِّ) من قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] للكمال؛ أي: الكامل حياته؛ لأنها باقيةٌ مستمرةٌ، وحياةُ غيرِه معرَّضة للزوال بالموت، ومعرضة لاختلال أثرها بالذهول كالنوم ونحوه فإنه من جنس الموت(٧٢). فهذا أيضاً مبنيٌّ على دليلٍ خارجيٍّ، كما تقدم في النقطة قبلها.

٨ -ذكر البقاعيُّ أن (أل) في كلمة (الرسول) من قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [آل عمران: ٣٢] للكمال؛ بمعنى: الرسول الكامل في الرسلية(٧٣).

والذي يظهر أن (أل) في (الرسول) هي للعهد؛ أي: الرسول المعهود المعروف لدى المخاطبين؛ وهو محمد صلى الله عليه وسلم. وفي تتمة كلام البقاعيِّ ما يؤكد هذا؛ حيث قال: "وهو وإن كان اسماً كلياً لكنه كان حين إنزال هذا الخطاب مختصاً

---

(٧١) نظم الدرر ٢٦٠/١٧. السراج المنير ٥٣٠/٣.

(٧٢) التحرير والتنوير ٥٩/١٩.

(٧٣) نظم الدرر ٣٣٨/٤.

بأكمل الخلق محمد بن عبد الله بن عبد المطلب المرسل إلى الخلق كافة"[٧٤]. وأما وجوب الطاعة له فيفهم من كلمة (رسول) نفسها سواء اقترنت بـ(أل) أو لم تقترن بها ؛ أي أن السبب في وجوب طاعته هو كونه مرسلاً من عند الله سبحانه. ويشهد لهذا المواضع الأخرى التي جاءت فيها كلمة (رسول) غير مقترنة بـ(أل) ؛ كما في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عمران : ٨١]، وقوله تعالى : ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [النساء : ١٣]، وغيرها من الآيات كثيرٌ.

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [النساء : ٥٩] وجَّه البقاعيُّ كون (أل) للكمال بأن معناه : الكامل الرسالة[٧٥].

وَيَرِدُ على هذا الكلام ما وَرَدَ على سابقه، بالإضافة إلى أنَّ لام الكمال - على ما سبق تقريره - تكون لاستغراق صفات أفراد الجنس، والجنس في هذا المقام هو جنسُ الرسل، لا الرسالات، فالكلام غير متناسقٍ.

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء : ١١٥]، وقوله تعالى : ﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ [الممتحنة : ١] جعل البقاعيُّ (أل) في كلمة (الرسول) في الموضعين دالةً على الكمال ؛ والمعنى أنه الرسول الكامل في الرسلية[٧٦].

---

(٧٤) المرجع نفسه.

(٧٥) نظم الدرر ٣١١/٥.

(٧٦) نظم الدرر ٤٠١/٥، ٤٨٦/١٩.

وجَعْلُ (أل) في هاتين الآيتين للكمال موهمٌ أنَّ علة المشاقة، وعلة الإخراج، هي كون الرسول كاملاً في الرسلية! وعليه فيكون الإنكار على المشاقين والمخرجين؛ لأنهم شاقوا الرسول الكامل الرسلية وأخرجوه، ولو كان رسولاً غير كامل الرسلية لما شاقوه، ولما أخرجوه!! ومن تأمَّل كلامَ البقاعيِّ يظهر له بجلاء أن المعنى الذي ذكره إنما هو مستفادٌ من كلمة (رسول) نفسها؛ فهم إنما شاقوه وأخرجوه؛ لأنه أعلمهم أنه رسول من عند الله، فكذبوه، وناصبوه العداء، فأنكر الحق –عز وجل – عليهم ذلك من حيث إنهم شاقوا رسولَه الذي أَرْسَلَه إليهم وأخرجوه، مع أن الواجب طاعته؛ لأنه مرسل من عند الله.

٩ –ذكر البِقَاعِيُّ أن (أل) في كلمة (الصلاة) من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ١٠٢] هي للكمال؛ والمعنى: فأقمت لهم الصلاةَ الكاملةَ؛ وهي المفروضة[٧٧]. فأما كون الصلاة المذكورة في الآية هي الصلاة المفروضة، فهو معلومٌ بقرينةِ إقامةِ الصلاةِ، ومعلومٌ أيضاً من قرينةِ قصرِ الصلاةِ بسببِ الخوفِ، والقصرُ إنَّما هو للفريضة. فما ذهب إليه البقاعيُّ تحصيلُ حاصلٍ، وتطويلٌ بلا طائلٍ. علاوةً على ما قد يُفهم منه من انتقاصِ النافلةِ؛ من حيثُ كونُها غيرَ كاملةٍ!!

١٠ –ذكر البِقَاعِيُّ أن (أل) في كلمة (الطيبات) من قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة: ٤] للكمال، والمعنى: أُحِلَّ لكم الطيباتُ الكاملةُ الطيبِ؛ فلا خُبثَ فيها؛ بنوعِ تحريمٍ، ولا تَقَذُّرٍ من ذوي الطباع السليمة، مما لم يرد به نصٌّ، ولا صحَّ فيه قياسٌ[٧٨].

---

(٧٧) نظم الدرر ٣٨٠/٥.

(٧٨) نظم الدرر ٢١/٦. وينظر أيضاً: ١٥٤/١٣.

وهذا التفسير مشكلٌ جدّاً ؛ إذ يكون ما أحله الله لعباده هو الطيباتُ الكاملةُ الطيبِ، فإن لم تكن كاملةَ الطِّيبِ فهي ليست مما أحله الله!! ولعل البقاعيَّ كان يرمي بهذا التفسيرِ إلى تقريرِ قاعدةٍ فقهيةٍ ؛ وهي أن من أسبابِ التحريمِ الاسْتِقْذَارَ عِنْدَ ذَوِي الطِّبَاعِ السَّلِيمَةِ، وذلك فيما لم يرد به نصٌّ، ولا صحَّ فيه قياسٌ"[٧٩]. وهذه القاعدةُ لها أدلتُها عند الفقهاء، وليس هذا محل تفصيل القول فيها.

ولا ريب أن في حمل الآية على ما ذُكِرَ تحميلاً لها فوق ما تحتمل ؛ فمن الجليِّ كل الجلاء أن (أل) هنا هي جنسية لاستغراق أفراد الجنس ؛ أي : أُحِلَّ لكم جميعُ الطيبات ؛ فكل ما توفر فيه وصف الطيب، سواءٌ كان طيبها كاملاً أو غير كامل، فهو مما أحلَّ.

ومما يدل على ضعف ما قاله البِقَاعِيُّ أن الفقهاء إنما استدلوا على القاعدة المذكورة بقوله تعالى : ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف : ١٥٧]، وليس كما ذكره البقاعيُّ، وحينئذٍ فلا داعي للتكلف المذكور ؛ لأنه بعيد عن معنى الآية وسياقها.

١١ -ذكر البِقَاعِيُّ أن (أل) في كلمة (الحسنة) من قوله تعالى : ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام : ١٦٠] للكمال، والمعنى : من جاء بالحسنة الكاملة ؛ بكونها على أساس الإيمان[٨٠]. وهذا التفسير تطويلٌ بلا طائلٍ ؛ فإن الحسنة لا تكون حسنةً أصلاً إلا إذا كانت على أساس الإيمان. ومما يُسْتَغرب أن البقاعيَّ نفسه قد حمل (أل) في (الْحَسَنَةِ) على الكمالِ، بينما حملها في (السَّيِّئَةِ) على الجنسِ[٨١]! والأقرب هنا ، والذي يقتضيه التقابل بين الحسنة

(٧٩) ينظر على سبيل المثال: بدائع الصنائع ٣٥/٥. بداية المجتهد ٢٢/٣. المجموع شرح المهذب ١٣/٩. المغني لابن قدامة ٤٠٥/٩.

(٨٠) نظم الدرر ٣٣٦/٧. وينظر أيضاً: السراج المنير ٧٧/٣.

(٨١) نظم الدرر ٣٣٦/٧.

والسيئة، أن تكون (أل) في الموضعين لاستغراق الجنس؛ أي: من جاء بحسنةٍ أيِّ حسنةٍ، ومن جاء بسيئةٍ أيِّ سيئةٍ.

١٢ -ذكر الزمخشريُّ وجهاً في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٤٧] أن (أل) في ﴿بالمؤمنين﴾ هي لام الكمال، على معنى: وما أولئك بالكاملين في الإيمان، وعلل الزمخشريُّ هذا الوجه بأنه على سبيل التَّهَكُّم بهم[٨٢]. وقد ضعف أبو السعود والآلوسيُّ هذا الوجه[٨٣]، ولم يذكرا وجه تضعيفه.

والذي يظهر في تضعيف هذا الوجه أن التَّهَكُّم المذكور تطويلٌ بلا طائلٍ؛ إذ المرادُ على هذا الوجه هو نفيُ الإيمانِ الكاملِ عنهم، فيُفهم من ذلك عدم نفي أصل الإيمان عنهم، فاحتيج إلى دفع هذا وردِّه فقيل: إن نفي كمال إيمانهم هو على سبيل التهكم؛ والمراد حقيقةً نفي الإيمان عنهم بالكلية. وأخصرُ من هذا وأجزلُ أن يقال: إنه نَفَى عنهم أصلَ الإيمانِ.

١٣ -ذكر البيضاويُّ أن (أل) في كلمة (المؤمنين) من قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣] هي للكمال، والمعنى: وبشر المؤمنين الكاملين في الإيمان[٨٤]. وقد نَقَل الآلوسيُّ تعليلاً حسناً لهذا الوجه؛ وهو أنَّ الخطاباتِ السابقةَ في الآيات كانت للمؤمنين مطلقاً، فلو كانت هذه البشارةُ لهم كان مقتضى الظاهر أن يقال: (وبشرهم)، فلما وُضِعَ المظهرُ موضعَ المضمر عُلِمَ أنَّ المرادَ غيرُ السابقين؛ وهم المؤمنون الكاملون[٨٥].

---

(٨٢) الكشاف ٦٣٦/١. وينظر: نظم الدرر ٢٩٦/١٣.

(٨٣) إرشاد العقل السليم ٤٠/٣. روح المعاني ٣١٠/٣.

(٨٤) أنوار التنْزيل ١٤٠/١.

(٨٥) روح المعاني ٥١٩/١.

وعلى الرغم من حُسْنِ هذا الوجه ولطافته إلا أنه غيرُ قاطعٍ ولا جازمٍ؛ إذ يجوز -كما عقَّب الآلوسيُّ على القول السابق - أن يكون العدول من المضمر إلى الظاهر للدلالة على العلية، وأنَّ مِلاك الأمر هو الإيمانُ(٨٦).

ولا يخفى أن القول الأخير فيه من الجَزالة ما ليس في الأول؛ فالوصف الذي استُحِقَّتْ به تلك البشارةُ هو الإيمانُ، فكلُّ من تَحَقَّقَ فيه ذلك الوصفَ فقد استحقَّ تلك البشارةَ. وأما على القول الأول فلا يستحقُّ تلكَ البشارةَ إلا من كان كاملَ الإيمان. وفي هذا القولِ من تحجيرِ واسعِ رحمةِ الله ما فيه.

١٤ -ذكر البِقَاعِيُّ، وتبعه الشربينيُّ أن (أل) في كلمة (المؤمنون) من قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢] هي للكمال، والمعنى: ولما رأى المؤمنون الكاملون في الإيمان(٨٧).

وهذا الذي ذَكَرَاهُ -وإن لم يذكره غيرُهما - له توجيهٌ حسنٌ؛ وهو أن المؤمنين ليسوا على درجةٍ واحدةٍ من الثبات واليقين؛ بل هم متفاوتون في ذلك. والثباتُ ورباطةُ الجأشِ المذكورةُ في الآية الكريمة إنما هي من صفاتِ المؤمنينَ الكُمَّلِ، الراسخين في الإيمان. والله أعلم.

والخلاصة من هذا المبحث أن كثيراً مما قيل إن (أل) فيه للكمال، فيه نظر ولا يسلَّم به، وأن كثيراً من ذلك اعتراه نوعٌ من التكلف. ويظهر أيضاً أن الكمال الذي دلت عليه بعض الكلمات لم يأت من (أل) وحدها؛ بل ساندها في ذلك أمور أخرى؛

---

(٨٦) روح المعاني ٥١٩/١، ٣٢/٦.

(٨٧) نظم الدرر ٣٢٤/١٥. السراج المنير ٢٣٣/٣.

مثل اسم الإشارة الذي للبعيد (أولئك)، وضمير الفصل: (هو)، و(هي)، و(هم)، وأصل وضع الكلمة، وغير ذلك.

المبحث الرابع: الخلاف في دلالة (أل) بين الموصولية والكمال

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مرجحات القول بالموصولية

ظهر من خلال المباحث المتقدمة أن أكثر الأمثلة التي ذُكرتْ لـ(أل) الدَّالَّة على الكمال قد دخلت على اسم الفاعل؛ نحو: ﴿**الصالحين**﴾، ﴿**الكافرين**﴾، و﴿**الظالمين**﴾، و﴿**الفاسقين**﴾، و﴿**المؤمنين**﴾، و﴿**المفسدين**﴾، و﴿**الواقعة**﴾، و﴿**المفلحون**﴾، و﴿**المتقين**﴾، و﴿**الكاذبون**﴾، و﴿**العادون**﴾، و﴿**الغافلون**﴾، و﴿**الصابرون**﴾.... إلخ. وقد دخلت في بعض الأمثلة على غير اسم الفاعلِ، ولكن ذلك قليلٌ جداً.

وقد تقدم في التمهيد أن (أل) تأتي اسماً موصولاً بمعنى (الذي)، و(التي)، ونحوهما؛ وهي التي تدخل على أسماء الفاعلين والمفعولين.

وعليه فإن كثيراً من المواضع التي تناولها هذا البحث تصلح لأن تكون (أل) فيها موصولة، وتصلح لأن تكون للكمال، كقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾ [الأنفال: ٢]، إذا كانت (أل) موصولة فالمعنى: الذين آمنوا، وإذا كانت للكمال فالمعنى: الكاملون في الإيمان. وهكذا في بقية الأمثلة. فأيهما الأولى: الموصولية أم الكمال؟

وبعد النظر والتدقيق فالذي يظهر في الجواب عن هذا السؤال: أن الأصل في هذا الباب أن تحمل (أل) على الموصولية؛ للأسباب الآتية:

١ - أن (أل) الموصولة محمولة على الحقيقة، بينما (أل) التي للكمال فهي محمولة على المجاز كما سبق تقريره في بداية البحث. والحمل على الحقيقة أولى من الحمل على المجاز.

٢ - أن الموصولة مطَّرِدَةٌ ويصلح القول بها في جميع مواضعها، وأما التي للكمال فهي غير مطَّرِدَةٍ، ولا يصلح القول بها في جميع مواضعها.

٣ - أن الموصولة تَسْتَقِلُّ بنفسها ولا تحتاج إلى أُمُورٍ تساندها ولا ألفاظ تصاحبها، وأما التي للكمال فتحتاج إلى ما يساندها؛ كضمير الفصل، أو اسم الإشارة، أو السياق، أو غير ذلك مما سبق بيانه في البحث.

٤ - أن حمل (أل) على الموصولية يأتي بدون تَكَلُّفٍ ولا تَمَحُّلٍ، وأما حملها على الكمال فقد ظهر من خلال البحث أنه كان متكلفاً في كثير الأمثلة.

المطلب الثاني: مرجحات القول بالكمال

ظهر للباحث من خلال استقراء كلام المفسرين، وتوظيفهم لـ(أل) الدَّالَّة على الكمال في التفسير أن للحمل على معنى الكلام مرجحات ترجح حمل (أل) على الكمال في بعض الأحوال والسياقات، بل قد يتعيَّن ذلك أحيانا. وفيما يأتي أبرز هذه المرجحات:

١- عندما يكون الكلامُ تكراراً لما سبق، أو تحصيلَ حاصلٍ.

فبعض الآيات الكريمة إن لم تُحمل (أل) فيها على معنى الكمال يكون الكلام تكراراً، أو تحصيلَ حاصلٍ، ويكون كتعريف الماء بالماء. ومن الأمثلة على هذا:

❖ قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٧]. فابتغاء غير الأزواج غير أزواجهم هو عدوانٌ وأمرٌ حرمه الله عليهم، فيكون الكلام كما لو قيل: فمن اعتدى فأولئك هم العادون. ولما كان هذا المعنى باهتاً يُنَزَّهُ القرآن الكريم

عن مثله كان الأكمل أن تُحمل (أل) على معنى الكمال، بمعنى: فأولئك هم الكاملون في العدوان، المتناهون فيه، كما ذكره كثيرٌ من المفسرين(٨٨).

❖ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥]. فلو لم تُحْمَلْ (أل) في (الخاسرين) على معنى الكمال لكان الكلام تعريفاً للشيء بنفسه؛ إذ يكون المعنى: إن الخاسرين الذين خسروا. ولكن الآية الكريمة تُبَيِّنُ أن هؤلاء المذكورين هم أشد الخاسرين خسراناً(٨٩)، وقد حازوا في الخسران غايته ومنتهاه. ويساند القول بحمل (أل) على معنى الكمال في الآية ما جاء في خاتمتها؛ من قوله تعالى: ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾، وما فيه من المبالغات العديدة.

٢- عندما لا يصح الحصر إلا بحمل (أل) على معنى الكمال.

في كثير من آيات القرآن الكريم لا يصح الحصرُ إلا إذا حُمِلَتْ (أل) على معنى الكمال، ومن ذلك:

❖ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٠]. فتوسيط ضمير الفصل (هم)، والتعريف، يفيدان الحصر. ولو حُصر الضلال في المذكورين لم يكن المعنى صحيحاً؛ لأن الضلال يوجد في غيرهم أيضاً(٩٠). والمخرج من هذا أن تحمل (أل) في (الضالون) على معنى الكمال، فيكون المعنى: وأولئك هم الكاملون في الضلال.

---

(٨٨) ينظر على سبيل المثال: مفاتيح الغيب ٢٦٢/٢٣. أنوار التنْزيل ٨٣/٤. مدارك التنْزيل ٤٦٠/٢. إرشاد العقل السليم ١٢٤/٦. روح المعاني ٢١٠/٩.

(٨٩) ينظر: أنوار التنْزيل ٣٩/٥. مدارك التنْزيل ١٧٣/٣. غرائب القرآن ٦١٩/٥. السراج المنير ٤٣٨/٣. إرشاد العقل السليم ٢٤٧/٧. روح البيان ٨٧/٨. البحر المديد ٦٢/٥. فتح القدير ٥٢٣/٤. روح المعاني ٢٤٠/١٢.

(٩٠) حاشية الشهاب ٤٤/٣. روح المعاني ٢١٠/٢.

❖ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]. فحمل (أل) في (الغافلون) على معنى الكمال ضروريٌّ في هذه الآية؛ لكي يصح الحصر؛ إذ الغفلة عند غيرهم كثيرة، ولكنها بالنسبة إلى غفلتهم كلا غفلة[٩١].

❖ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]. ذكرت الآية الكريمة عدة صفات للمؤمنين، وصُدِّرت بـ(إنما) المفيدة للحصر. وحتى يصح هذا الحصر لا بد من حمل (أل) في (المؤمنون) على معنى الكمال؛ أي: الكاملون في الإيمان المخلصون فيه[٩٢]، ويرى الآلوسي قطعيَّة الحمل على معنى الكمال هنا[٩٣]. والواقع أن الصفات المذكورة صفات الكاملين في الإيمان، ولا يلزم أن من لم يتصف بتلك الصفات ليس مؤمناً.

❖ قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٢]، حمل البقاعيُّ (أل) في (المفسدون) على الكمال؛ على معنى: أنهم هم الكاملون في الإفساد، البالغون من العراقة فيه ما يجعل إفسادَ غيرهم بالنسبة إلى إفسادهم عدماً[٩٤]. ولو لم تُحْمَلْ (أل) على الكمال في هذه الآية لانحصر الإفساد فيهم وحدهم، وليس الأمر كذلك، فكم من مفسدٍ غيرهم!؟

---

(٩١) حاشية الشهاب ٤/٢٣٧- ٢٣٨.

(٩٢) المحرر الوجيز ٢/٥٠١. أنوار التنْزيل ٣/٤٩. السراج المنير ١/٥٥٢. إرشاد العقل السليم ٤/٤. حاشية الشهاب ٤/٢٥١. روح المعاني ٥/١٥٥.

(٩٣) روح المعاني ٥/١٥٥.

(٩٤) نظم الدرر ١/١١١.

٣- عندما يكون الكلام موهماً خلاف المراد

فبعض الآيات الكريمة إن لم تُحمل (أل) فيها على معنى الكمال يكون الكلام معكوساً، ويعطي معنىً خلاف المعنى المراد. ومن الأمثلة على هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧]. فمن المعلوم أن النفاق درجة أعلى من الفسق وأخصُّ منه؛ فكل منافق فاسق، وليس كلُّ فاسق منافقاً؛ لأن العبد قد يكون من عصاة المسلمين، فيكون فاسقاً، ولكنه ليس منافقاً. ولو حملت (أل) في الآية على غير معنى الكمال لاقتضى ذلك أن كل فاسقٍ منافقٌ. فكان من الضروريِّ أن تحمل (أل) في الآية على معنى الكمال؛ ليكون المعنى: إن المنافقين هم الكاملون في الفسق[(٩٥)].

٤- عندما يتعلق الكلام بتنْزيه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

الأنبياء هم صفوة الخلق وأكملهم، وقد اختصهم الله بأكمل الصفات وأسماها، ومن ثم فإن ما يليق بآحاد الناس قد لا يليق بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومن هنا فإنه يترجح وقد يتعين أن تحمل (أل) على الكمال إذا كان الكلام عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأنعام: ٨٥]. وقوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]، وقوله تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٦]، وقوله تعالى على لسان سليمان عليه السلام: ﴿وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾

---

(٩٥) الكشاف ٢٨٧/٢. مفاتيح الغيب ٩٧/١٦. أنوار التنْزيل ٨٨/٣. مدارك التنْزيل ٦٩٢/١. غرائب القرآن ٤٩٨/٣. السراج المنير ٦٢٩/١.

[النمل: ١٩]. وقوله تعالى حكاية عن يونس عليه السلام: ﴿فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القلم: ٥٠].

فالذي يليق قطعاً بمقام الأنبياء عليهم السلام أن تحمل (أل) من كلمة (الصالحين) في هذه الآيات وما ماثلها على الكمال؛ لكي يكون معنى (الصالحين): الكاملين في الصلاح، المعصومين عن فعل الكبائر والصغائر[٩٦]. فإن لم تُحْمَلْ (أل) على الكمال فلا فضل حينئذٍ للأنبياء على غيرهم.

الخاتمة

تتضمن هذه الخاتمة أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال هذا البحث، وهي:

١ - حمل (أل) على معنى الكمال ذائع شائع، وقال به جلُّ علماء اللغة، وعلماء التفسير.

٢ - اختلفت عباراتُ أهلِ اللغةِ في التعبيرِ عن (أل) الدالة على الكمال؛ فعبَّروا عنها بعدة تعبيرات، بعضُها يقرُبُ من بعضٍ، وأرجحها: (أل) الدالة على الكمال، و (أل) التي تدل على استغراق صفات الأفراد. وأما المفسرون فلم يعبروا عنها إلا بـ(أل) الدالة على الكمال.

٣ - حمل (أل) على معنى الكمال لا بُدَّ له من معونة السياق والمقام، ولذا فهو ليس وجهاً مطلقاً لـ(أل) يقال في أية جملة وكلمة.

---

(٩٦) ينظر على سبيل المثال: أنوار التنْزيل ١٧١/٢. السراج المنير ٥٢٦/٢. إرشاد العقل ٢٥٠/٦. حاشية الشهاب ٣٧٩/٥. فتح القدير ٤٩٦/٣. روح المعاني ٧٨/٩، فتح البيان ٣٦٣/٨، محاسن التأويل ٢١٤/٧. تيسير الكريم الرحمن ص: ٩٦٦. التحرير والتنوير ٢١٥/٢٠.

٤ - كثيرٌ من المواضع التي ذكر المفسرون أن (أل) فيها تفيد الكمال لم تستقلَّ (أل) وحدها في ذلك؛ بل ساندها فيه أمور أخرى؛ كتوسيط ضمير الفصل بين المبتدإ والخبر، والتعبير باسم الإشارة (أولئك)، وأصل وضع الكلمة، وغير ذلك.

٥ - تفاوت المفسرون في توظيفهم (أل) الدالة على الكمال بين مقلٍّ، ومتوسط، ومكثرٍ. وأكثر المكثرين في ذلك هو البقاعيُّ في تفسيره (نظم الدرر).

٦ - لحملِ (أل) على معنى الكمال مرجحاتٌ يترجح بها على حملها على معنى الموصولية، وكذا فإن لحملها على الموصولية مرجحات يترجح بها على حملها على معنى الكمال.

٧ - يوجد تفاوت واضح بين المفسرين في توظيف (أل) الدالة على الكمال في تفسير القرآن الكريم، وأكثرهم توظيفاً لذلك هو البقاعي رحمه الله؛ فقد ذكره في تفسيره في مواضع كثيرة جداً.

وصلى الله وسلّم وبارك على عبده ونبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

قائمة المصادر والمراجع

[١] *الإتقان في علوم القرآن*. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

[٢] *إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم*. أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت ٩٨٣هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيْروت، د ت.

[٣] *أنوار التنْزيل وأسرار التأويل*. ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت ٦٩١هـ). تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيْروت، ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م.

[٤] *أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك*. عبد الله بن يوسف ابن هشام الأنصاري (٧٦١ هـ). تحقيق: يوسف البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيْروت، د ت.

[٥] *البحر المديد في تفسير القرآن المجيد*. أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني (ت ١٢٢٤ هـ). تحقيق: أحمد رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م.

[٦] *بداية المجتهد ونهاية المقتصد*. محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ت ٥٩٥ هـ). دار الفكر، بيْروت، د ت.

[٧] *بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع*. مسعود بن أحمد الكاساني (ت ٥٨٧ هـ). دار الكتاب العربي، بيْروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

[٨] *التحرير والتنوير*. محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ). دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م.

[٩] *التعريفات*. علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦ هـ). تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، بيْروت، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٩٥م.

[١٠] *تفسير الراغب الأصفهاني*. الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ). تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم/ دمشق، الدار الشامية/ بيْروت، ط١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

[١١] *تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)*. محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤ هـ). الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

[١٢] *تهذيب اللغة*. محمد بن أحمد بن الهروي الأزهري (ت ٣٧٠ هـ). تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيْروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

[١٣] *توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك*. ابن أم قاسم المرادي (ت ٧٤٩ هـ). تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي - القاهرة، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

[١٤] *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦هـ). تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيْروت، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

[١٥] *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ). تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمود محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيْروت، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

[١٦] *جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الإيجي)*. محمد بن عبد الرحمن الإِيجي (ت ٩٠٥ هـ). دار الكتب العلمية، بيْروت، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

[١٧] *الجنى الداني في حروف المعاني*. المرادي، الحسن بن القاسم. تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيْروت، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

[١٨] *الجواهر الحسان في تفسير القرآن*. عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت ٨٧٦هـ). تحقيق: محمد علي معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيْروت، ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م.

[١٩] *حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي*. شهاب الدين عبد الله بن عمر الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ). دار الكتب العلمية، بيْروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

[٢٠] *حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك*. محمد بن علي الصبان (١٢٠٦ هـ). دار الكتب العلمية بيْروت، ط١، ١٤١٧ هـ -١٩٩٧م.

[٢١] *خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب*. البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣ هـ). تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.

[٢٢] *دستور العلماء (جامع العلوم في اصطلاحات الفنون)*. عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (*ت ق ١٢هـ*)، عرَّبه عن الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، بيْروت، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.

[٢٣] *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*. شهاب الدين محمود بن عبدالله الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ). تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيْروت، ط١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

[٢٤] *السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير*. محمد بن أحمد الخطيب الشربيني (ت ٩٧٧ هـ). مطبعة بولاق، القاهرة، ١٢٨٥ هـ. دت.

[٢٥] *شرح الأشموني على ألفية ابن مالك*. علي بن محمد بن عيسى الأُشْمُونِي (ت ٩٠٠ هـ). دار الكتب العلمية بيْروت، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

[٢٦] *شرح التصريح على التوضيح*. خالد بن عبد الله الأزهري (ت ٩٠٥ هـ). دار الكتب العلمية، بيْروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

[٢٧] *شرح الكافية الشافية*. محمد بن عبد الله ابن مالك الجياني (ت ٦٧٢ هـ). تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، د ت.

[٢٨] *شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب*. عبد الله بن يوسف ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ). تحقيق: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، سوريا، دت.

[٢٩] *شرح قطر الندى وبل الصدى*. عبد الله بن يوسف ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ). تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة، ط ١١، ١٣٨٣هـ - ١٩٦١م.

[٣٠] *صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان*. أبو حاتم محمد بن أحمد ابن حبان (ت ٣٥٤ هـ). تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيْروت، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

[٣١] *غرائب القرآن ورغائب الفرقان*. الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت ٨٥٠هـ). تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيْروت، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

[٣٢] *فتحُ البيان في مقاصد القرآن*. محمد صديق خان بن حسن القِنَّوجي (ت ١٣٠٧هـ). قدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المكتبة العصرية، بيْروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م.

[٣٣] *فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير*. محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير/دمشق، دار الكلم الطيب/بيْروت، ط١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م.

[٣٤] *فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب*. الحسين بن محمد بن عبد الله الطّيبي (ت ٧٤٣هـ). الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، مجموعة رسائل دكتوراة وماجستير، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

[٣٥] *كتاب سيبويه*. عمرو بن عثمان الملقب بسيبويه (ت ١٨٠ هـ). تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م.

[٣٦] *كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم*. محمد بن علي التهانوي (ت ١١٥٨ هـ). تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيْروت، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

[٣٧] *الكليات*. أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي (ت ١٠٩٤هـ). تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيْروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

[٣٨] *اللباب في علوم الكتاب*. عمر بن علي بن عادل الدمشقي (ت ٧٧٥هـ). تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيْروت، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

[٣٩] *المجموع شرح المهذب*. محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار الفكر، بيْروت، د. ت.

[٤٠] *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢ هـ). تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيْروت، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

[٤١] *مدارك التنْزيل وحقائق التأويل*. عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت ٧١٠هـ). تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيْروت، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

[٤٢] *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ). تحقيق وتخريج: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيْروت، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

[٤٣] *مشارق الأنوار على صحاح الآثار*. عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ). المكتبة العتيقة ودار التراث، د ت.

[٤٤] *معجم اللغة العربية المعاصرة*. أحمد مختار عمر (ت ١٤٢٤هـ). دار عالم الكتب، بيْروت، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

[٤٥] *معجم المقاييس في اللغة*. أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ). تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيْروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. د ت.

[٤٦] *مغني اللبيب عن كتب الأعاريب*. عبد الله بن يوسف ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ). تحقيق: د.مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيْروت، الطبعة السادسة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

[٤٧] *المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني*. موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ)، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م. د ت.

[٤٨] *مفاتيح الغيب*. فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيْروت، ط٣، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

[٤٩] *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*. برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ). دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دت.

[٥٠] *الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه*. مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ). تحقيق: عدد من طلبة الدراسات العليا رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

[٥١] *همع الهوامع في شرح جمع الجوامع*. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ). تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر، د ت.

The article (the) and its meaning of perfection to illustrate the holy Quran

Dr. Hatem Jalal Al-Tamimi
Associate Professor of Exegesis and Quran Sciences
Collage of Quran and Islamic Studies
Al-Quds University – Palestine

Abstract. This study aims to identify one kind of the article “the” that means perfection . It also tries to prove the meaning of perfection through what scientists of Arabic and distinguished illustrators of Quran who used that meaning of the article “the” to illustrate the holy Quran . They demonstrated models of what the illustrators say and discussed that to agree on disagree depending on the illustrators justificans and attitudes.